مقدمة البحث

مقدمة :

لقد أصبحت الرواية ديوان العرب الجديد ، بما حققت من إنجازات متميزة بثرائها الفنى وقدرتها على استيعاب الأنغام المتباعدة ، المركبة ، المتنافرة ، المتغايرة الملامح والصفات ، والمتوافقة مع إيقاع عصرنا . لقد أصبحت الرواية هى الجنس الأدبى الأكثر أهمية ، والأشد تأثيرا ، والأوسع انتشارا . لقد تحولت إلى كرنفالية احتفالية بما تضم من عناصر الأضداد ، وبما تعكس من صراع يتشكل ويتشابك فى نسيجها المعقد حيث يتضافر فيه الوصف بالسرد ، والأحداث بالشخصيات ويتداخل الزمان بالمكان ، وبما تحتوى من قدرة " على التقاط تفاصيل المشهد العدائى ، القمعى ، لعالمنا حيث دقائق النغمات المتنافرة المزعجة لعصرنا ، وإيقاع التحولات المتدافقة ، متغايرة الخواص فى لحظتنا التاريخية الراهنة " [1]. إنها الانصهار التام الذى يذيب العناصر المختلفة كى تنعكس على أرضيتها إحباطات وتساؤلات الإنسان المعاصر فى هذا الزمان . إنه الجنس المراوغ المخاتل الذى يثير الأسئلة ، القلقلة ، التأزم والتردى ، التفكك والانهيار على كافة الأنظمة وكافة المستويات بدءا من الاجتماعية وانتهاء بالسياسية العلمية . إنه الجنس الأدبى الأكثر تجسيدا أو مرونة حيث تفقد البوصلة السياسية قدرتها وتحاصر القدرات العقلية والفكرية والعلمية .

من خلال المسح النقدى الشامل للرواية ، نجد أن أدب نجيب محفوظ احتل مركزا إستراتيجيا مهما فى مجال الإبداع ، لأنه أدب يثير القضايا ، يطرح الأسئلة ، يجتاح بجسارته مناطق الممنوع والمسكوت عنه فى الحياة الإنسانية . فهو أدب (الاشتباه) الذى يتوفر فيه القدرة على تفجير التناقضات الساكنة فى النفس الإنسانية . هو أدب يعكس قيمنا وفكرنا حيث يتجلى المكان بوصفه العبقرية الفذة القادرة على التشكيل والتحدى . هو أدب يبحث فى أكثر من القضايا إلحاحا وهى الحرية ، العدالة ، المساواة، والسعادة .

لقد أبدع نجيب محفوظ شخصيات كثيرة خرجت من بين ضفاف كتبه لتعيش فى أذهان الناس حيث تمثل معظم فئات المجتمع ، فنتعرف من خلاله على الثورى والخائن ، العادل والمستبد ، السوى والشاذ ، المؤمن والملحد ، المتوائم مع نفسه والعبثى ، المحبط جنسيا والفائض الحيوية والفحولة. فتعلق فى ذاكرتنا أسماء مثل سعيد مهران ، السيد أحمد عبد الجواد ، الجبلاوى ، قاسم ، عرفة ، أنيس ذكى ، عاشور الناجى . ونتعرف على نوعيات مختلفة من المهن تبدأ بأستاذ الجامعة ، التاجر ، العامل ، الطبيب ، العالم . وعالج موضوعات متباينة وأحداثا شكلت المجتمع المصرى[2] بداية من الملكية ، الثورة ، التأميم ، الإصلاح الزراعى ، حرب الاستنزاف، المعتقلات والسجون ، الانفتاح ، الصراع العربى الإسرائيلى ، السلام ، اغتيال الزعماء ، الصراع بين السلطة ورجال الدين والعلم ، ويخيل للباحث أنه لم يترك موضوعا واحدا لم يبحث فيه ولم يكتب فيه .

---

(١) د. جابر عصفور ، زمن الرواية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، عام ١٩٩٩ ص ٥٤ .

(٢) سيد عشماوى ، الرؤية السياسية فى (مرايا) نجيب محفوظ ، مجلة القاهرة ، العدد (١٥٨) يناير عام ١٩٩٦ ص ٩١-٩٢ .

ولقد إختار الباحث شخصية الفتوة عند دراسته لهذا الأدب وذلك للأسباب الآتية:

١- عدم وضوح الرؤية النقدية[٣] حيث ظهرت للوجود ظاهرة (طرفى النقيض) كما يسميها الدكتور الربيعى حيث تشكلت مجموعة تناصر هذا الأدب وترفعه إلى مرتبة العالمية وتسبغ آيات الإبداع على الكاتب ، ومجموعة أخرى تقلل من قيمة هذا الأدب بل تصفه بحجر عثرة فى طريق الإبداع الجديد . فأراد الباحث أن يحلل مشكلة التناقض هذه دون الانتصار لأى فئة من الفئتين . خصوصا وأن شخصية (الفتوة) هى أكثر الشخصيات إثارة للجدل والصخب الذى أدى إلى إهدار دماء الكاتب طاعة لبعض الآراء المضللة .

٢- معالجة شخصية (الفتوة) فى ضوء المتغيرات العالمية ومن خلال منظور جديد ، فيحاول الباحث اكتشاف قدرة الكاتب على التنبؤ واستشراف المستقبل .

٣- لم يتوفر لهذه الشخصية الثرية باحث واحد فى دراسة جامعية مستقلة ، تكشف رموزها ودلالتها وغموضها . فكان لزاماً على الباحث أن يقوم بهذه المهمة الصعبة فى نتاج نجيب محفوظ القصصى والروائى .

هدف الدراسة :

تهدف الدراسة إلى تقديم رؤية مغايرة ومحاولة لتقييم الأحكام النقدية الخاصة بشخصية الفتوة التى صدرت بصددها ومناقشتها وتفنيدها ، وذلك لأنها مازالت لها القدرة على إثارة الجدل والصراع والتناقض .

الدراسات السابقة :

توجد ثلاثة أنواع من الدراسات استفاد منها الباحث :

١ ـ الدراسات العامة :

وهى التى مهدت للباحث الطريق للدخول إلى عالم هذه الشخصية وهذه الظاهرة من بداية العصر الجاهلى وحتى اليوم . وسوف يشار إليها فى البحث .

٢ ـ الدراسات المتخصصة :

فى أدب نجيب محفوظ نذكر بعضاً منها على سبيل المثال لا الحصر

١-*دراسة الدكتور محمود الربيعى* (قراءة الرواية ـ نماذج من نجيب محفوظ) حيث ناقش روايات (اللص والكلاب ، السمان والخريف ، الطريق ، الشحاذ ، ثرثرة فوق النيل ، ميرامار) . وضع

---

(٣) راجع : د. عبد العزيز حمودة ، المرايا المحدبة ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت أبريل عام ١٩٩٨ م ص ٣٣، ٣٤ حيث يتحدث عن عدم وضوح الرؤية النقدية بسبب أزمة المصطلح النقدى الذى يحدث إرباكا داخل الواقعين الحضارى والثقافى اللذين ارتبط بهما ويؤدى إلى فوضى الدلالات المعرفية .
وراجع أيضا : د. جابر عصفور ، نقاد نجيب محفوظ ، ملاحظات أولية ، مجلة فصول القاهرة ، المجلد الأول العدد الثالث ، أبريل ١٩٨١ .

نظريته فى مقاربة النصوص الأدبية وشدد على أن كل عمل مستقل بذاته ويمثل وحدة موضوعية فى ذاتها ، ولكنه لم يلتزم بذلك عند التطبيق إلى حد ما ، وهذا راجع إلى ثبات النظرية وحركية التطبيق .

٢- ***دراسة سعيد شوقى محمد سليمان " ماجستير"*** توظيف التراث فى روايات نجيب محفوظ، حيث ركز جهده على معالجة التراث وتأثيره فى عناصر الإبداع الروائى من حدث ، وشخصيات ، وزمان ، ومكان ، حيث أثبتت هذه الدراسة مدى ارتباط نجيب محفوظ بالتراث شكلاً وموضوعاً.

٣-***دراسة الدكتور محمد يحيى ومعتز شكرى*** (الطريق إلى نوبل عبر حارة نجيب محفوظ) فهذه الدراسة على صغرها أضافت الكثير إلى حقل الدراسات الأدبية بما حللت من رموز ، وبما قدمت من رؤية جديدة لنظرية الاستقبال الأدبى . ولكنها ركزت جل جهدها على أولاد حارتنا .

٤-***دراسة محمد عبد الحكم عبد الباقى " ماجستير"*** (السمات الفنية فى القصة عند نجيب محفوظ). عالج فيها الشخصية فى ضوء علم الطباع [٤]، ولقد حاول الباحث أن يرصد بعض الظواهر الفنية التى تبرز فى قصص نجيب محفوظ .

٥- ***دراسة محمد عبد الحكم عبد الباقى للدكتوراه*** (الفن الروائى عند نجيب محفوظ من ميرامار إلى الحرافيش) . حيث عالج الموضوعات الآتية : الشكل الفنى بين الداخل والخارج ، نمطية الشكل الفنى فى المرايا وحكايات حارتنا ، البنية الزمانية والمكانية فى روايات نجيب محفوظ ، نهاية الرواية والتكنيك الفنى ، ملامح تيار الوعى ودرامية الحدث مع التركيز على صور الرمز ودلالته .

٦-***دراسة الدكتور السيد فضل*** (صوت الراوى دراسة فى ملحمة الحرافيش) حيث يهاجم بشدة التقسيمات المدرسية التى تفصل بين الأجناس الأدبية ، وهو يؤكد على تداخلها المتواشج فى صيغ متجددة والذى يسمح بامكانية ظهور الشكل الملحمى مختلطا بالغنائى والمأساوى والهزلى. يركز البحث على إبراز جانب واحد من جوانب الصيغة المستحدثة فى الحرافيش القائمة على المزج والتعاطف والاستخفاف . تحاول هذه الدراسة اثبات أن الراوى فى ملحمة الحرافيش يتمتع بصوتين مميزين يمثلان الشكل الفنى الذى هو فى الوقت ذاته موضوع النص الروائى .

٧-***دراسة فرج وجيه محمد والى للماجستير*** (منظور الراوى فى أدب نجيب محفوظ - دراسة نقدية) . حيث ناقش مهمة الراوى وأنواعه ووظائفه فى السرد والوصف والتعليق وربط الحدث ودوره فى الخطاب الأدبى .

---

(٤) تعريف علم الطباع : هو دراسة الشخصية من خلال منظور علم النفس ومن خلال مصطلحات الحلم ، الشعور ، اللاشعور

د. فرج أحمد فرج ، القصة القصيرة والتحليل النفسى ، فصول عدد ٤ و د. مصطفى صفوان ، مقدمة ترجمة الأحلام لفرويد ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٩ .

٨-*دراسة الدكتور رجاء عيد* (قراءة فى أدب نجيب محفوظ) رؤية نقدية حيث عالج الموضوعات الآتية : العلاقة بين الرواية والروائى ، اللغة الروائية ومستوياتها المختلفة ، النظر الفلسفى وفن الرواية ، الرمز الروائى وعلاقته بالتجربة الإبداعية، العلاقة بين الفرد والمجتمع وجدلية الصراع والتوافق بينهما ، شخصية الثورى بين المثال والواقع .

٣- دراسات دُرس فيها الكاتب ضمن أعمال آخرين :

<u>نذكر منها على سبيل المثال :</u>

١-*دراسة الدكتور السعيد الورقى* (اتجاهات القصة القصيرة فى الأدب العربى المعاصر فى مصر).

٢- *دراسة الدكتور محمد مهدى غالى* (تطور الشكل الفنى فى القصة المصرية القصيرة ١٩٦٠-١٩٨٦) رسالة دكتوراه .

٣-*دراسة الدكتور مراد عبد الرحمن مبروك* (الظواهر الفنية فى القصة المعاصرة فى مصر سنة ١٩٦٧-١٩٨٤).

٤-ويمكن الرجوع إلى موسوعة الدكتور السكوت ، والدكتور مارسدن[٥] عن نجيب محفوظ ، هذا وهناك دراسات قيمة جاءت فى ثنايا البحث يذكرها الباحث فى حينها.

منهج البحث :

ولقد اقتضت ضرورة البحث أن يعتمد الباحث فى منهجه على النصوص ذاتها فيتخذها قاعدة للبحث ، ينطلق منها ويعود إليها ، حيث يعمل الباحث أدواته مستعيناً بآراء الآخرين ، وذلك من خلال العرض ، والتعليق ، وبيان أوجه التناقض فيها ، حتى يفتح النص الإبداعى مغالقة وأبوابه ، ويبوح بسره ، فيكشف عن عمق العلاقة بين النص الأدبى والظواهر الاجتماعية والسياسية والدينية .. إلخ

<u>ولهذا قسم الباحث دراسته كالآتى : مدخل وأربعة فصول ثم خاتمة وثبت بالمصادر والمراجع.</u>

<u>يناقش فى المدخل المحاور الآتية :</u>

١-تطور مصطلح الفتوة ، بداية من العصر الجاهلى مروراً بعصر صدر الإسلام ، مع ذكر دور الرسول الكريم والصحابة فى هذا المجال مع التركيز على شخصية الإمام على بن أبى طالب .

٢- معنى الفتوة فى اللغة والأدب ومحاولة التأصيل النظرى لهذا الموضوع مع ذكر صفات ومراسم قبول العضو الجديد فى الفتونة الشعبية والرسمية .

٣- فتوة أبناء الحارات فى مصر ، ودورهم فى صد الحملات الصليبية ودور البطل الشعبى فى مقاومة الاحتلال . ظاهرة الفتوات فى العصر الحديث ، ودورهم السياسى فى ثورة سنة ١٩١٩ وأسباب اندثار هذه الظاهرة .

---

(٥) د. حمدى السكوت وجونز مارسدن : أعلام الأدب المعاصر فى مصر ، سلسلة ببليوجرافية ، نقدية - المجلد الأول - الطبعة الثانية ، بيروت ١٩٨٢.

وفى الفصل الأول يناقش الباحث :

" موقع شخصية الفتوة داخل البناء الفنى " من خلال المحورين الآتيين:

١ – العلاقة بين البطل والفتوة (الكاريزما) فى كل منهما. دور البطل الإيجابى فى صنع الأحداث وتغيير البيئة المحيطة حوله ، ويستعرض الباحث طريقة رسم ملامح الفتوة الجسمية والنفسية من الداخل ومن الخارج ، وتأثير عوامل البيئة والوراثة فى الشخصية ودور الطبيعة فى صنع الحدث.

٢ – أنواع الفتوات : حيث يفرق الباحث بين أنواع الفتوات المختلفة والتى تبدأ من الفتوة البلطجى، المثالى ، الوطنى ، المستبد ويختم المبحث بعرض لفتونة الأنثى مع التركيز على شخصية زهيرة فى الحرافيش .

وفى الفصل الثانى سيناقش الباحث:

" الفتوة والسلطة بين التوحد والمباينة " من خلال المحاور الآتية :

١-مفهوم السلطة وطرق السعى لها ، ثم يقدم نماذج لفتوات وصلوا لعرش الفتوة ، وأهم ما يميز كل واحد منهم . ثم يناقش دور المرأة فى رحاب الفتونة عندما تتشوق للسلطة والمجد ويسلط الضوء على الفروق بين الفتوة الحقيقى ، والفتوة المزيف ، ثم يذكر مبررات وجود وحيثيات اختفائه . ثم يناقش وضع الحارة بدون فتوة .

٢- يناقش الباحث فاعلية وديناميكية الرجل الثانى بما تحمل هذه المعانى من تألق وهوان ، ثم يذكر شروط قبول الرجل الثانى ودوره ، ثم يناقش الجنس بوصفه أداة للقهر والسيطرة ، ويناقش أيضا مراسم انضمام العضو العادى إلى جماعة الفتوة وما له من حقوق وما عليه من واجبات .

٣- يناقش الباحث (فتونة العلم وزوال الفتونة التقليدية ، والعلاقة بين السلطة والعلم ، والعلم والدين ، والصدام بين الشرطة والفتوات ، والطرق المختلفة لاغتيال الفتوة ، ثم يذكر الباحث الأسباب التى أدت إلى زوال هذا النظام الاجتماعى .

وفى الفصل الثالث يناقش الباحث :

" الفتوة بين الزمان والمكان علاقات - علاقات السلب والإيجاب" من خلال الآتى :

١-استدارة الزمن وعلاقته بشخصية الفتوة ، ومحاولة تعريف الزمان وخصوصيته فى أولاد حارتنا ، وأساليب التكرار وتقنيات الربط الزمنى .

٢- تداخل الزمان فى المكان وتجليات الفتوة ، حيث يناقش وظيفة المكان ومعماريته ومفهوم اختزاله ، وتحرك الشخصيات ، مع ذكر سمات المكان النظيف والمكان القبيح ، والعلاقة بين المكان ومستويات اللغة ، ثم يذكر تأثير المكان فى الشخصية مع ذكر نماذج للتحليل والعلاقة بين المرأة والمكان بوصفها رمزا.

٣-الفتوة والمكان (علاقات التأثير والتأثر) ، يناقش الباحث العلاقة بين الفتوة والأماكن المتعددة التى يعيش فيها ويتفاعل معها تأثيرا كالحارة ، التكية ، الخلاء ، الجبل ، البيت ، البدروم .. .. إلخ .

فى الفصل الرابع يناقش الباحث :

" الدلالات الرمزية لشخصية الفتوة " من خلال المحاور الآتية :

١-***ماهية الرمز ومستوياته وضرورة وجوده*** ، ومستويات تفسيره وطريقة استدعاء الرمز ثم ضرورة الرمز عند نجيب محفوظ ، وأولاد حارتنا بين الممنوع والمشروع.

٢- ***الرموز الدينية ودلالتها*** ، يناقش الباحث هذه الرموز وعلاقتها بالدين ، فيبدأ بالجبلاوى واسمه ثم مهارة التوازى ، مقاربة النص الدينى والنص الأدبى ، ويناقش عزله الجبلاوى ودلالتها وطرق البحث عن الله .

ثم يناقش الرموز الدلالية لباقى الفتوات ، إدريس فتونة الشر الخالص ومصادر صياغة هذه الشخصية . ثم يناقش الباحث الدلالات الرمزية لفتوات آل جبل وكيفية نشوء هؤلاء الفتوات ومدلول الصراع بين السلطة والدين ، وبين القديم والجديد ، ثم يناقش الباحث وظيفة فتوات عصر رفاعة ، ثم يناقش فتوات عصر قاسم ، ثم عصر عرفة ودلالات هذه الشخصية ورموزها المتنوعة ، ودلالة وقوع عرفة تحت سيطرة الناظر وأسباب اقتحام البيت الكبير وموت الجبلاوى ، ثم يذكر جذور الصراع بين العلم والدين فى الغرب ، ثم يختم هذا المحور بوظيفة الرباب ودلالتها الرمزية .

٣-***يناقش الرمز السياسى للفتوات*** ، الدلالة الرمزية لفتوات ثورة يوليو ، وضباط الثورة بين المباشرة السياسية ورمزية التناول ، سرعة اتهام الآخر وسنة الإرهاب "حين أستبدل الصوت الواحد بالأصوات المتعددة ، ولغة الاتهام بلغة الحوار ، وأهل الثقة بأهل الخبرة ، والضابط بالعالم، والزعيم الأوحد بالمفكرين ، والمهيب الركن بالمنظرين ، والفرد بمجموع الأمة ، والحزب الواحد بالأحزاب المتعددة ، والأحكام العرفية بالأحكام الدستورية"[٦]، الدلالة الرمزية لشخصية جلال عبد ربه والرمز السياسى لفتح الباب ، وعاشور الحفيد

---

(٦) د. جابر عصفور ، هوامش على دفتر التنوير ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، ٢٠٠٠ ص ٣٣٩-٣٤٠

وتأبى المقدمة إلا أن أتقدم بالشكر والعرفان لكل من ساعدنى فى إتمام هذا البحث، ففى كل سطر وخلف كل فاصلة حروف من أسماء الذين شاركونى فى تكوينه ، ومن خلالهم تشكل الوعى والوجدان ، وتبلورت أحلامى وطموحى .

ها أنذا أكتب أسماء أساتذتى : دكتور رجاء عيد ، حيث نداوة المعنى وحدة الملاحظة ، دكتور زغلول سلام، حيث المعلومة الشاملة والصرامة المحببة ، دكتور السيد فضل ، حيث تجمع كلماته بين جدة التناول وجدلية الطرح ، دكتور يسرى العزب ، أول من زرع فينا الدهشة وعلمنا سحر الكلمة ، دكتور الطاهر أحمد مكى ، حيث عمق الإضافة وصدق التعبير وغيرهم الكثير ممن أضاف إلى معرفتى ولو سطرا واحدا .

وأخص بالشكر الأستاذين الجليلين الدكتور / السيد فضل ، والدكتور / صلاح رزق. على ما سوف يمنحان الباحث والبحث من وقت وجهد فى القراءة والمناقشة ، وعلى ما سوف يضيفان إليهما من ثراء وعمق معرفى .

أما أستاذى الدكتور / نبيل رشاد نوفل فبالكلمة ، والإيماءة ، والإشارة ، والنقاش الحر فتحت لنا نوافذ الضوء والدفء حيث تصبح للأشياء والأشخاص معنى نبيلا ومدلولا أصيلا ، كنا نجلس بين يديه صغارا فى معارفنا وخبراتنا فنحس بما بمنحنا أن الصغار يكبرون . فهو وأصحابه نجوم تمنحنا الثقة وتنير لنا الطريق ، من اتصل بهم وصل ، ومن استرشد بهم رشد.

الباحث

كمال مصطفى جاد